ماوراء اللغة

للدكتور: يحيى عبد الرؤوف جبر

نعني بهذه العبارة ما تنبيء عنه اللغة من خلال التبصر في العلاقات القائمة بين ألفاظها ومدلولاتها ، من أمور كانت ومازال موضوع مناظرات شتى ، كالخلاف حول ما اذا كانت اللغة توقيفا أو اصطلاحا ، الأمر الذي نجده في مصنفات ابن فارس ، وابن جني وغيرهما . وأين تقف العربية من « اللهجات » السامية بل من « لغات » كثير من الأمم . الى غير ذلك من الأمور ، وسننفذ الى مسارب هذا الموضوع عبر البحث في ألفاظ الجهات الرئيسية ودلالاتها والعلاقة بينها .

لقد تنبه المتقدمون الى جوانب من العلاقة بين الانسان والكون ، يحسن أن توصف بأنها غيبية أو حدسية ، ذلك انها قائمة على معارف سطحية ، منها نظرية العناصر الأربعة والأمزجة الأربعة ، ويعتذر لهم بقصور عصرهم عن بلوغ مستوى هذا العصر في النبوغ العلمي والفكري . ومنهم من ذهب الى أن العالم ، أن الكون هو صورة أخرى للانسان وأن الأجزاء في كليهما متناظرة (المقدسي في البدء والتاريخ) فالعينان والشمس هما سبيلا الرؤية ، واليدان من الانسان هما القطبان من الكون ، والقفا هو المغرب والتراب هو اللحم والحجارة تناظر العظم ، والماء الدم ، وغير ذلك مما لا يخفى على طالبه ...

وسنكشف ، فيما بعد ، عن حقيقة ترشح هذا المذهب .

واذا كان الزمان فصولا أربعة ، وكان بين الفصول ما ينسب في طبعه الى طبيعة الفصلين اللذين يمتد بينهما ، وكان الزمان ذا حدود وعلامات دقيقة من ثانية الى دقيقة فساعة فيوم فأسبوع فشهر فعام ··· واذا كان نهاره غير ليله في طبعه ، فان المكان أقسام ونواح أربع هي المشرق والمغرب والشمال والجنوب ، وبين كل جهتين متواليتين جهة ، بل جهات فرعية تنسب الى كلتا الجهتين تبعا الى قربها من احداهما ، ويقسم المكان درجات طولا وعرضا ، يحدد بها وتقوم علامات عليه كأجزاء الزمان · واذا كان ما بين حدي كل فصلين متواليين من فصول الزمان تسعين يوما (أو تسعين وحدة زمنية) فان ما بين حدي كل جهتين متواليتين تسعون درجة (أو وحدة مكانية) ·

وقل مثل ذلك في الانسان حيث تليه أربع اتجاهات هي القبل والدبر والجنبان ويلاحظ القارىء أننا أغفلنا جهتي الفوق والسفل من الكون ، ومن الانسان ، كما أغفلنا مثل ذلك في الفصول ، حيث هي ستة أيضا ، ذلك أن التقسيم الشائع قاصر على طبائع الجو نهارا ، أما ترى أن ليل الصيف كنهار الربيع ، وليل الربيع كنهار الشتاء الخ ·· ولتوضيح ذلك نقول : ان الشمس تمر في ثلاث « محطات » تطوق الأرض عرضا هي المداران وخط الاستواء ، فتكون الطبائع الأرضية في « حال ما » عند مرورها باحدى المحطات ، فهي اذا « ثلاث أحوال » غير أن هذه الأحوال ليست لكل الكرة ، انما هي للنصف الطولي المشرق · فاذا احتسبنا النصف الآخر ، كانت ست أحوال ، أي ستة فصول ·

وسبب هذا الاغفال ، أن الكون كري ، وليس في الكرة فوق وتحت ، ثم ان الجهات الأربع تحدد بعلامات تقوم عليها هي المشرق والمغرب وما عن يمين ممتد ما بينهما وما عن شماله ، على العكس من الجهتين الأخريين ، حيث لا يقوم الدليل عليهما الا بالحساب · وسبب اغفالنا فصلين ، راجع الى أن الشمس تمر « بمحطة » خط الاستواء مرتين ينجم عنهما أربع أحوال كل اثنتين منها متشابهتان ، الأمر الذي يسوغ اغفال اثنتين · وقل في الانسان مايقال في الكون ، حيث أن انتشاره على الأرض كري أيضا ·

وأن التناظر والترابط بين الأربعات السابقة واردان ، وتوجيه ذلك على النحو التالي :

الصيف : العامل فيه الشمس المشرقة (المشرق) = قبل الانسان وعيناه ·

الخريف : العامل فيه ميل الشمس عن سمت المكان (جنوب أو شمال) = جنب الانسان ·

الشتاء : العامل فيه ابتعاد الشمس أكثر عن سمت المكان (غرب) : قفا الانسان ، حيث انها تكون كالغاربة عنه ·

الربيع : العامل فيه عودة الشمس الى وضعها في الخريف (شمال أو جنوب) : جنب الانسان ·

وتختلف طبائع الفصول ، وكذلك طبائع الجهات ووجهات الانسان ، وفي بلاد العرب تلتقي معظم الطبائع ، فالشتاء بارد الا أن تهامة تكون دافئة فيه ، والصيف حار ، الا أن المنطقة من الطائف الى عدن تكون معتدلة فيه ، وأمطار الشتاء تهطل على شمالها الى وسطها ، وأمطار الصيف تهطل على جنوبها الى وسطها أيضا ، ولذلك ، رأيت أهل وسطها ، ولا سيما أهل مكة يتجهون للتجارة في الشتاء جنوبا الى اليمن ، وفي الصيف شمالا الى الشام ، ليس اتقاء للمطر أو البرد أو الحر وحسب ، ولكن طلبا للمحاصيل التي تنتجها تلك البلاد ، عقب موسم المطر السابق على أوان الرحلة ، ولذلك من الله عليهم أن سخر لهم تلك الطبائع في قوله : « لايلاف قريش ايلافهم ، رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » صدق الله العظيم ·

أما اختلاف طبائع الجهات ، فليس أدل عليه من ملاحظة ما يحدث فيها فالشرق مبعث الضوء والنور من الشمس والقمر على التوالي ، ومبعث المعرفة والالهام والوحي والفلسفة التي تضيء الروح وتسمو بالانسان · والغرب مغرب الشمس ، ومصدر الظلام ومصدر المادية التي تجذب الانسان الى الأرض ·

أما الشمال والجنوب ، فالاختلاف بينهما ظاهر في تقاطيع الأرض وتضاريسها فاليابسة في نصف الكرة الجنوبي أقل بكثير من الماء فيه ، ومن اليابسة في النصف الشمالي ، وطبائع الأرض اوالبحر هنا وهناك ليست واحدة ، أما ترى العلماء يقولون : إن حيتان نصف الكرة الجنوبي لا تنتقل الى نصفها الشمالي · أما السماء ، فنجوم النصف الجنوبي غير نجوم النصف الشمالي ، سواء في توزيعها او في لمعانها أو غير ذلك · وقل مثل ذلك في طبائع الجهات ، ولنأخذ مثلا لذلك بلاد العرب وهي مقصودة بهذا الأمر دون غيرها ، حيث نجد أن جنوبها خير من شمالها في طبيعته ، وأن الرياح التي تهب

من جنوبها خير من التي تهب من شمالها ، وهذه مسألة أتبناها وأدافع عنها بالدليل الحاسم .

أما جوانب الانسان الأربعة فهي كسابقتها في اختلاف طبائعها وفي ما أوجده الله فيها من جوارح . ففي قبله عيناه ؛ وهما شمسه ، ومعظم حواسه ، وسبيلاه الى التناسل والبقاء . وفي قفاه « مغرب » شمسه حيث لا يرى ولا يرى ما يليه ، الا بمرآه تكون كالقمر اذا حجب الأفق الغربي الشمس . وفي شقه الأيمن كبده ومرارته بينما قلبه في شقه الأيسر ، ويمناه (جنوبه) خير من شماله (شماله) على نحو ما سنفصله فيما بعد .

والفصول والجهات والطبائع أمور نسبية ، فما هو الى الشمال منك يكون ألى الشرق من غيرك أو الى الجنوب منه ، وهكذا ، وما هو عن يمينك يكون ، كذلك ، عن يسار غيرك أو من ورائه ، والصيف هنا ربيع هناك . وشتاء هنا وصيف هناك ، وحر هنا وبرد هناك ؛ وهكذا . وكذلك الزمان ممثلا في جزئه الأعظم ، وهو اليوم ، بليله ونهاره فالساعة الآن السابعة صباحا ، هنا ، وهي السابعة مساء ، هناك ، أو أقل ، أو أكثر .. فالآن ليل ونهار ، وما الزمان الا ليل ونهار متحركان أبدا . وسبب انتظامهما وازدواجهما هو أنهما يتحركان على محيط دائرة (الكرة عدد ضخم من الدوائر) ولولا ذلك لكان الزمان أكثر من يوم وليلة . وأنت ترى أن بين كل اثنين متواليين من الفصول أو الجهات أو الليل والنهار ، أو الطبائع ماينسب اليهما ويأخذ منهما كالحال آخر النهار الى دخول الليل ، وآخر الليل الى ارتفاع الشمس فوق الأفق الشرقي ، حيث لا يكون الضوء خالصا ، ولا الظلمة خالصة ، وانما هي ظل من ضياء وظلمة . ويمكن القول عقب ذلك كله ان لكل من الأربعات السابقة حدين اثنين وحسب ، وما الاثنان الأخران الا حلقتي وصل بينهما ، فيهما من طباعهما مايجعلهما وسطا بينهما ، غير أنهما تتدرجان في طبعهما بالنسبة الى مبدأ الحركة فيهما تجاه ما يليهما . ويسهل تصور ذلك بالتمثيل بالليل والنهار أي الظلمة « الخالصة » والضوء « الخالص » ، حيث يربط بينهما ظل الفجر الى الشروق ، وظل الطفل الى الغروب . والظل خليط من الضياء والظلمة ، غير أن بداية ظل الفجر أدنى الى الظلمة ، وبداية ظل الطفل أدنى الى النور ويزداد الضوء في ظل الفجر كلما دنا الشروق ، وكذلك الظلمة في ظل العشى كلما دنا الغروب حتى يستحيل الأول ضياء ، فيكون النهار ، والأخر ظلمة فيكون الليل .

وستعقب فيما يأتي ، الألفاظ التي تعبر عن الجهات الأربع ،

وما يناظرها في بدن الأدمي ، وما توحي به العلاقات القائمة بينها وبين نظائرها ومدلولاتها من علم وحقائق ·

الفاظ الجهات هي الشرق ، أو المشرق والغرب أو المغرب ، والشمال والجنوب ونظائرها في الخلق الأدمي القبل أو القدام والدبر أو الخلف والجنب الأيمن والجنب الأيسر أو الأشأم ·

وقد ظهرت الألفاظ التي يعبر بها عن الجهتين المعلم عليها بالشمس قبل غيرها ذلك أنها تعكس دلالتين تقعان على حدثين ليس أجل منهما في أثرهما ، وهما الى ذلك يمثلان الحياة والموت ، ونقصد بهما الشروق والغروب · وأنت ترى أن اثنتين منهما صيغتا في مبنى اسم المكان.، حيث يعلم بالموضع أو الاتجاه الذي يكون منه شروق الشمس ، على جهة الشرق ، وبالموضع أو الاتجاه الذي يكون فيه غروبها على جهة الغرب · وكل مادة تبدأ بشين فراء فهي تنصرف لدلالة تقع على معنى الخروج والظهور ، وكل مادة تبدأ بغين فراء أو غين وحسب فهي لدلالة تنصرف لمعنى الاحتجاب والاختفاء ، ولك أن تقلب ما في ذاكرتك من المفردات لتقف على هذه الحقيقة ·

ولما كان اعتماد الانسان قديما على حسه أكثر من عقله ، وكان الشروق والغروب يدركان بحاسة البصر ، وكانت هذه الحاسة أشد الحواس توجيها للانسان وتأثيرا على معارفه وعلومه ، فقد أدى ذلك الى ظهور تلك الألفاظ في اللغات منذ أمد بعيد وقبل الألفاظ التي يعبر بها عن الشمال والجنوب (١) ·

وكان الناس والعرب أقصد ، يعبرون عن جهتي الشمال والجنوب دائما وغيرهما أحيانا بالظروف المبهمة مضافة الى علم ما ، كأن يقولوا : دون كذا ، أو قبل كذا ، وتلقاء كذا (تلقاء مدين) وشطر كذا « شطر المسجد الحرام » وعن يمين أو شمال كذا ·· الخ ، ويدلنا على هذا ، أن أدب الجاهلية وصدر الاسلام ، والقرأن الكريم جاءت خالية من الفاظ مفردة يعبر بها صراحة عن تينك الجهتين ، على العكس من الجهتين الأخريين · ذلك أن الشمال والجنوب انما يدركان بالحساب ، ثم أنهم كانوا يعبرون عنهما بذكر الجدي أو الحوت ، للشمال ، وسهيل للجنوب ، كأن يقولوا شق الجدي ، أو اتجاه الحوت أو نحو ذلك ، غير أن هذا الأسلوب قد ظهر عقب الاسلام ، واكثر وروده في كتب الحساب والرحالة من الجغرافيين · وقد يبادر قارىء فيقول : « ان كلمتي « الشمال والجنوب » كانتا معروفتين عند العرب

قديما ، فأقول نعم ، لكن لدلالتين مختلفتين ، الأمر الذي سنبحث فيه فيما بعد . وقد استخدم العرب في التعبير عن الجهتين اللتين يعبر عنهما بطلوع الشمس وغروبها الألفاظ التالية :

(أ) « شرق » وقد وردت منسوبا إليها في القرآن الكريم حيث قوله تعالى : وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا » (٢) .

(ب) « غرب » وقد وردت منسوبا إليها في القرآن الكريم أيضا ، حيث قوله تعالى : « وما كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ » (٣) .

(جـ،د) المشرق والمغرب ، وقد وردا في قوله تعالى : وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » (٤) اي مافيهما .

(هـ،و) المشرقين والمغربين ، وقد وردا في قوله تعالى : « رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ » (٥) ، وقد قيل هما مشرقا الشمس ومغرباها صيفا وشتاء . وقيل : بل هما مشرقا الشمس والقمر ومغرباهما (٦) .

(ز،ح) المشارق والمغارب ، وقد وردتا في قوله تعالى : « وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا » (٧) ، قيل هي مشارق الشمس ومغاربها في أيام السنة وتكون مابين مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما ، وهي نحو من ثمانين ومائة مشرق ومغرب (٨) ، وقد كثر استخدام هذه المفردات بعد الإسلام تأثرا بالنص القرآني ، ولا سيما عقب اتساع الدولة الاسلامية ، ومن ذلك قول أسماء بن خارجة الفزاري : (سريع)

ما أصبحت في شر أخبية
مابين شرق الأرض والغرب (٩)

ومن ذلك قول عوف بن محلم يمدح المأمون : (رجز)

وابن الذي دان له المشرقا م ن طرا ، ودان له المغربان

ويناظر المشرق في العبرية « מזרח مزارح » واراه قريبا من « مسرح » بجهر السين لتوائم شدة الضوء ، أي حيث تبدأ الشمس سروحها ، وفي التقرية charqui وهي سواء والشرق . أما « المغرب » فيناظرها في العبرية מערב معراف ، وفي السريانية ܡܥܪܒܐ : معربا ، وفي هذا التناظر إشارة الى اتفاق الساميين في اشتقاق الكلمات الدالة على تينك الجهتين من مادتي « شرق وغرب » في معظم لغاتهم .

أما الكلمتان : شمال وجنوب فلم تعرفا لدلالتيهما على الجهتين اللتين تنحوان تجاه القطبين متعامدتين مع جهتي المشرق والمغرب ــ إلا بعد القرن الهجري الثاني بعد ما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية ، واستقر العرب في البلدان المفتوحة ، ونشطت حركة التعريب والترجمة ، الأمور التي أدت إلى ضرورة البحث عن لفظين يخصان بتينك الجهتين ، سواء كان ذلك ناجما

من حاجة الناس اليهما في تحديد المواقع ، أو نتيجة لازدهار علم الفلك • وقد تمخض عن ذلك التحول الى استخدام الكلمتين (شمال وجنوب) لدلالتين تجاوران دلالتيهما على الريحين اللتين تهبان من قبل الشام واليمن •

الشمال والجنوب (الريحان)

لم ترد هاتان الكلمتان في شعر الجاهلية وصدر الاسلام لدلالة على غير الريحين اللتين تهبان من قبل اليمن والشام • ولم تردا في القرآن الكريم قط • وأول ما وردتا لدلالة على الجهتين في أنواء ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ • وانما كان عرب الجزيرة يعبرون عن تينك الجهتين بمنسوب او ذي علاقة لفظية بالشام واليمن • وقد تغيرت دلالتا الكلمتين ، وانفتق اطارهما فأصبحتا تستوعبان الجهتين الى جانب الريحين المذكورتين ، ذلك لعلاقة الظرفية ، حيث أن الجهتين هما مهباهما • وكما عبروا عن الجهات بذي علاقة بالشام واليمن ، ثم باسمي الريحين ، فقد عبروا عن الريحين بذي علاقة بالشام واليمن ، فقالوا نسبة : شامية ويمانية ، وهما نعتان أقيما مقام موصوفيهما وسترد شواهد ذلك فيما بعد •

وقد قرن العرب بين ريح الشمال وما يتشاءم به ، وبين ريح الجنوب وما يتفاءل به • وأسوق فيما يأتي جملة من الشواهد توضح ذلك ، قال ابو كبير الهذلي : (طويل)

اذا كان عام مانع القطر ريحه   صبا وشمال قرة ودبور (١١)
حيث عد الشمال في الرياح ، ومنه قول عدي بن زيد :   (خفيف)
وحبي بعدَ الهدو تزجيه   م   شمال كما يزجى الكسير (١٢)
حيث أسند سوق السحاب للشمال أي لريح الشمال ، ومن ذلك في ريح الجنوب قول حميد بن ثور :   (طويل)
ليالي أبكار الغواني وطرفها   الي ، واذ ريحي لهن جنوب (١٣)
ومنه أيضا قول عدي بعد البيت السابق :
فاستدرت به الجنوب على ال   م   حزنة فالمتو ، سيره مقصور
حيث أسند مرى السحاب واستدرار المطر للجنوب •

وأنت تلاحظ أن الشواهد الأربعة السابقة تنطق بحقيقة تتمثل في ربط ريح الشمال بالقحط وسفر السحاب ، والبرد ، بينما لم تذكر ريح الجنوب الا مع ماينسب الى الخير والغوث ، لذلك نعت حميد بن ثور ريحه بأنها جنوب ، كناية عن المواتاه ، ولذلك أيضا ، قال عدي بن زيد ، فاستدرت به الجنوب ، حيث شبه فعل ريح الجنوب بالسحاب بفعل الرجل اذا استدر الناقة

لحلبها • ونحن نعلم أن المطر كان ـ ومايزال ـ أبرز العوامل التي تحكمت في حركة الانسان وتوزيع جماعاته ليس في الجزيرة العربية وحسب ، ولكن في شتى بقاع المعمور •

ومما يؤكد ماذهبنا اليه قول لبيد بن ربيعة العامري : (كامل)

مرت الجنوب له الرباب بوابل ومجلجل قرد الرباب مديم (١٤)

حيث أسند مرى السحاب الى الجنوب ، ومما يدل على ذلك أيضا ، أنهم سموا بناتهم بتلك الريح لاقترانها باللين والخير • ومن ذلك جنوب بنت العجلان (١٥) ، وجنوب الهذلية الشاعرة (١٦) ، وجنوب صاحبة عبد الله ابن سلمة الغامدي ، وقد ذكرها في شعره حيث قوله : (وافر)

كأن بنات مخر رائحات ، جنوب ، وغصنها الغض الرطيب (١٧) •

ومن الشواهد التي تعكس موقفهم من ريح الشمال ، ذلك الموقف المقترن بالكراهية والتشاؤم ـ قول طرفة بن العبد البكري : (طويل)

فأنت على الأدنى شمال عرية شآمية تزوى الوجوه بليل (١٨)

حيث شبهه في اضراره بأقربائه بريح الشمال الباردة التي تقشع السحب وتحول دون المطر ، وتضطر المرء الى أن يزوى وجهه اتقاء لها •

وتوجيه ذلك جغرافيا ، أن ريح الشمال تهب شتاء ، وتكون باردة ، وغالبا مايصاحبها القحط والجدب ، ذلك أن السحب التي تقلها ، ما أن تبلغ أطراف الجزيرة الشمالية ، حتى تكون قد هراقت ماءها على السواحل الشرقية الجنوبية من البحر المتوسط فيخف السحاب ، وتنخرق الريح مسرعة ، فيزداد البرد ، ويتأزم الحال ، ذلك أنها تضيف الى شح المطر بردا شديدا •

أما الجنوب ، فهي على العكس من ذلك ، حيث تهب صيفا ، اي في الفترة التي تهطل فيها الأمطار الموسمية على جنوب الجزيرة العربية ، الى مكة المكرمة (١٩) • فبالاضافة الى مايصاحبها من مطر عادة ، فهي تلطف الجو •

غير أن العرب قد نسبوا الفضل في المطر الى الرياح ، ذلك أنها تأتي بالسحب فذهبوا الى أنها تستدرها ، بل لقد ذهبوا الى أبعد من ذلك حيث اعتقدوا أن الرياح تلقح السحاب ، ومن ذلك الرياح اللواقح ، وهي التي تسبق المطر ، والريح العقيم ، وهي الشديدة التي تسفر السحاب ، وما ذلك الا من من المجاز ، وقد ورد شيء من ذلك في القرآن الكريم حيث قوله تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » (٢٠) وقوله : « وفي عاد اذ أرسلنا عليهم

الرِّيحَ العَقِيم ، (٢١) ومن قبيل ذلك أنهم نعتوا الرياح بما تنعت به الماشيه في هذا المجال ، فقالوا : ريح حائل ، والحائل من الإناث التي لم تُعَشَّر وقد انصرم أوان النزو • قال الطرماح بن حكيم : (مجزوء الكامل)

قَلِقٌ لأَفْنَـــانِ الرِّيـــاحِ   م   للاقحٍ منها وَحَائل (٢٢)

وقال النابغة الشيباني : (كامل)

مرُّ الدهورِ مع الشُّـهورِ تَنُوبُهَـا   ومن الرياح لقاحُها وعَقيمُها (٢٣)

وقال كثيِّرُ عزة : (طويل)

إذا مُسْتَنَاباتُ الرِّيـاحِ تَنَسَّمَتْ   وَمَرٌّ بِسَفْسَافِ التُّرابِ عَقيمُها (٢٤)

ريحا الشمال والجنوب ، والإنسان :

لهاتين الريحين ، بل للريح بعامة علاقة بالانسان ذات شعب كثيرة ، وابرز الرياح أثرا في حياة العرب في جزيرتهم ، هما تانك الريحان ، وإن أخطرما يكشف علاقة الريح بالإنسان ، هو ما يعبر به عن الانسان من أسماء هي في الواقع مشتقات مما يعبر به عن الريح من مواد اللغة •

فالإنسان روح :

والريح أصلا « روح » ثم قلبت الواو ياء ، بدليل الجمع « أرواح » حيث تصدق في جمع الروح والريح • قال النمر بن تَوْلب في جمع الريح : (كامل)

وبوارحُ الأرواحِ كلَّ عشــيَّةٍ   هَيْفٌ تَرُوحُ وَسَيْهَكٌ تَجْرِي (٢٥)

أي : الرياح الحارة التي تهب في النصـف الثاني من النهار • وقال رؤبة ابن العجاج : (رجز)

تَنْفَحُهُ الأرواحُ والبَرْقُ الشَّرِي (٢٦)

أي تسوقه من مكان إلى مكان آخر •

والإنسان نفس والريح نفس :

يقال في التعداد سبع أنفس ، ونحـــو ذلك • وقال اسحق بن خلف البهراني في الريح : (مجزوم الكامل)

وكأنما ذر الهباء عليه أنفاس الرياح (٢٧)

أي : كأنَّ الرياح قد أثارت عليه الغبار الدقيق ، واضــافة الكلمة للرياح من قبيل إضافة الشيء الى مرادفه أو ما هو في معناه •

والإنسان نسمة والريح اللطيفة نسيم أو نسمة :

ومن ذلك في الريح قول الشاعرة : (طويل)

وهبَّت له ريحُ الجنـوبِ وأَنْشَرَتْ   له رَيْدَةٌ يُحْيي المَمَاتَ نسيمُها (٢٨)

وانشرت : هبت مساء • رَيدة : لطيفة طيبة • وقال الطرماح : (مديد)

ليلة ، هاجت جمادية ذات صر جربياء النسام (٢٩)
أي : ريح شمالية باردة الأنسام .

ولا غرابة في الأمر ، اذ ما الريح والنفس والنسيم والأهواء متحرك ، والهواء المتحرك في مجراه من الجهاز التنفسي هو سر الحياة . وما أشبه الروح بالهواء (الريح) في اللطف والخفة والأهمية . الهواء لا يكون ريحا الا بالحركة ، والانسان لا يكون ذا روح الا بالهواء المتحرك في مجراه الطبيعي منه . وليس الهواء نسيما ولا نفسا الا بالحركة ، وكذلك الانسان فهو لا يحيا الا بهما ما تحركا في مجراهما تخرج روح الانسان اذا لم تتحرك فيه الريح .

وتخرج روح الانسان فلا تعود نفسا مالم تتنفس فيه الريح ، أو يتنفس هو الريح وتخرج روح الانسان فلا يعود نسمة مالم تجر فيه الأنسام .

وهذه الحقائق ترتد بنا الى ما شبه بعض المتقدمين الانسان به ، حيث قيل انه نظير الأرض وماحولها . فالعينان شمسه ، والأرض بطنه ، ومايليه تحته ، وهكذا الأمر الذي يسوغ القول أن حيز الغلاف الغازي ـ رئتاه والهواء المتحرك روحه ، والفضاء فوق ذلك هو الفجوة حول عنقه ، أو عنقه . والهواء الطف العناصر الأربعة ، والروح الطف ما في الانسان ، وكذلك نفسه .

وارتباط دلالات المفردات السابقة بمعنى الحركة ، يكشف عن حقيقة فطرية ذلك أن الهواء الساكن سرعان مايفسد فلايعود صالحا ، ويفقد صلاحيته للاستنشاق واستمرار الحياة . ولذلك كانت التهوية ضرورية جدا ، وما التهوية الا « تحريك » الهواء باستبداله . وكل متحرك ذاتيا حي (٣٠) ، أو صالح للحياة ، من حيوان أو نبات أو نحوهما والماء المتحرك ـ الجاري ـ لا ينجس ولا يتغير ، أما الراكد فانه سرعان ما يتغير والانسان المتحرك والمجتمع المتحرك يحملان الدليل على حيويتهما .

ولست أظن أن الانسان هو الذي رسم ماسبق أن وضحته من علاقة بينه وبين الهواء المتحرك ، أو أنه هو الذي قام بتوجيه تسمية الروح والنفس والنسمة أو أن الصدفة كانت من وراء ذلك . ربما كان له أثر في بعضها ، لكننا نستبعد أن يكون له أثر في بعضها الآخر .

وتبرز العلاقة بين الانسان والهواء في كلمة أخرى وفي دلالتهما ، وهي الجشاة (٣١) وتعني الريح التي تهب قبل شروق الشمس ، آخر الليل . كأنه

تجشأ بها • وجشأة الانسان تخرج من ظلمة جوفهْ ، وهذه خارجة من ظلمة الليل • غير أن هذه الكلمة لا تشير الى أبعاد عميقة كتلك التي أشارت اليها المفردات السابقة ، ذلك أنها مجازية الدلالة •

ومما يوضح أهمية الهواء للانسان ـ ونحوه ـ هو أن الهواء يمثل :المجال الرئيسي الذي يستطيع الانسان أن يتحرك ويباشر عمله فيه ، كما أنه المجال الرئيسي الذي تباشر أخطر الحواس نشاطها فيه ، أعني السمع والبصر والشم ، فهي ، ولا سيما الأوليان ، لا يمكن أن تعمل عادة الا في الهواء •

ريحا الشمال والجنوب ومايرادفهما :

تسمى العرب ريح الجنوب ، اليمانية ، وأكثر ماوردت في آثارهم هو أن تنسب للسرعة وقد تكون ، كذلك ، قبل المطر ، أو بعده • قال أبو ذؤيب الهذلي : (وافر)

ولا متحير باتت عليه   ببلقعة يمانية نفوج (٣٢)

أي سريعة ، وباتت عليه : اما بالمطر أو بما تذروه عليه من قمش الأرض ودقاقها • وقال شبيب بن البرصاء : (طويل)

وحتى رأيت الحي تذرى عراصهم   يمانية تزهى الغمام دروج (٣٣)

أي تثير الغبار • وتزهي الغمام : تذهب به بعد أن أراق ماءه • دروج : مسرعة وانما سميت يمانية ، نسبة الى اليمن ، لأنها تأتي من قبله ، وهذا من باب نسبة الشيء الى جهته •

وكذلك الحال بالنسبة لريح الشمال ، حيث سموها شامية ، حيث تهب على بلاد العرب من قبل بلاد الشام (٣٤) • كما تسمى أيضا ، «الشمل» ومن ذلك قول مالك بن الريب : (متقارب)

ثوى مالك ببلاد العدو   وتسفى عليه رياح الشمل (٣٥)

أي تسفى عليه الرمل والتراب • وهي الشمال ، ومن ذلك قول الكندي : (طويل)

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها   لما نسجتها من جنوب وشمأل (٣٦)

أي : أمحت آثارها بما جاءت به ريحا الشمال والجنوب من غبار • وهي الشأمل ايضا ومن ذلك قول أحد بني الغنبر في نخلة : (طويل)

تدحى وتسمو في السماء برأسها   وان هب يوما شأمل لم تحلل (٣٧)

أي : ريح شمال ، وخصها لشدتها ، وفي ذلك بيان قوة النخلة وقدرتها

على المقاومة وأنت ترى أن المفردات التي يعبر بها عن الريح التي تأتي من قبل بلاد الشام وهي (الشمال ، وشمل ، وشأمل ، وشـــمال) من مادة واحدة ، بإسقاط الهمزة من الأخيرتين إن كان ذلك هو الصواب ، وسنناقش هذه المسألة فيما بعد ٠

وأود هاهنا أن اشير الى العلاقة اللفظية بين الألفاظ السابقة وكلمة « الشِّمال » التي تطلق على اليد اليسرى ، فهي جميعا من مادة « شمل » فيما قد يبدو ٠ ويناظر هذه العلاقة اللفظية علاقة دلالية معنوية بينها ٠ فقد تبينت أن العرب كانت تكره ريح الشمال وتتشاءم بها ، ولم تذكرها بخير ، ذلك أنها تسفر السحاب ، وتأتي ببرد شديد وقلما تجيء بالمطر ، كما تكره الشِّمال وتعبر بها عن المعاني المكروهة كما سترى ٠

أما الجنوب ، فكانت محببة إليهم ، وقد سبق أن ذكرت شواهد لذلك ، وأضيف هاهنا دليلا آخر على تيمنهم بالجنوب ومكانتها القريبة من أنفسهم ، ويتضح ذلك في إطلاقهم عليها اسم « النعامى » وهو مشتق من المـــادة « نعم » ومنها النعمة والنعومة والنعيم ، وهي لمعانٍ محبوبة ، أما تراهم يسمون بناتهم : « نعيمة » ، بل أما ترى الله أسمى نفسه (المنعم) ؟ قال أبو ذؤيب الهذلي في سحابة : « وافر »

مَرَتهـــا النُّعـــامَى فلم تَعْتَرِفْ خلافَ النُّعامَى ، مِن الشام ريحا (٣٨)

أي : استدرّت ريح الجنوب تلك الســـحابة ، ولم تعرض لها ريح غيرها ، قادمة من قبل الشام فتسفرها ٠

ومن أسماء الجنوب : المَزْرَج (٣٩) ، وقد وردت لعلاقة بالمطر في شعر أبي ذؤيب الهذلي ، وهي « الأَزْيَب » بدليل قوله صلى الله عليـــه وسلم : « إنَّ لله تعالى رِيحا اسْمُها الأَزْيَب ، وهي فيكم الجنوب » (٤٠) ٠ والأزيب : الرجل الناشط الى عمله (٤١) ٠

الشِّمال واليمين :

تنصرف كلمة « شِمال » في العربية إلى دلالة تقع ما ينسب الى شـق البدن الأيسر ، ماكان منـــه ، أو فيه ، كاليد ، أو يليـــه من الأجسام أو الجهات ، اضافة الى الدلالة على مايكره وما يكنى به عن الإثم والخسران ، ونحو ذلك ٠ أما اليمين فهي لعكس ذلك في كل شيء ٠ وليس هذا الأمر عند العرب وحدهم ، بل هو عند غيرهم من الشعوب ، وسنبين جانبا من ذلك في حينه ، والشواهد لذلك في العربية أكثر من أن تحصى واليك تفصيل ذلك في القرآن الكريم وآثار العرب :

(أ) شواهد ارتباط اليمين بالفلاح والحق والخير :

قال تعالى : « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين » (٤٢) حيث جاء بعده قوله « في سدر مخضود* وطلح منضود* وظل ممدود* وماء مسكوب* وفاكهة كثيرة* لا مقطوعة ولا ممنوعة* وفرش مرفوعة* الى آخر الأيات ، الأمر الذي يشير الى فلاحهم وأنهم أريد بهم خيرا ·

والميمنة هي اليمين ، مفعلة منها ، اسم مكان ، ومنه قوله تعالى : « فأصحاب الميمنة* ما أصحاب الميمنة* (٤٣) » اذ المقام لبيان مكانتهم عند الله ··· وبمعنى أصحاب البركة والسعادة ومن ذلك قوله تعالى : « فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم (٤٤) » كناية عن السعد وحسن العاقبة ·

(ب) شواهد ارتباط اليمين بالقوة :

قال تعالى : « والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون » (٤٥) · المراد باليمين القدرة ، والقوة ، لأن اليد ـ اليمنى) هي أداة القوة ومن ذلك قول الشماخ بن ضرار ، يمدح عرابة الأوسي : « وافر »

اذا ما راية رفعت لحرب   تلقاها عرابة باليمين (٤٦)

(جـ) ونتج عن ذلك أن انصرفت « اليمين » الى معنى الحلف والقسم ، ذلك أن القسم انما يكون تأكيدا للعزم · والقوة سبيل انقاذ ذلك ، واليمين اليد هي الأداة ، ويرشح ذلك ، بل يؤكده ، أن العرب كانت تبسط ايمانها عند التحالف أو الحلف والقسم ·

أما الشمال فهي لعكس ذلك في العربية ، ويكنى بها عن الخسران ، بدليل قوله تعالى : « وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه » (٤٧) لأنه يعلم أن مافيه شهادة بقصوره وباستحقاقه العذاب الأليم ، فهو يتمنى لو لم يتسلمه ·

ثم أما ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتناول الطعام والشراب باليمنى دون اليسرى (الشمال) لأن الشيطان يستخدمها في ذلك ، والشيطان رمز الشر · وأنه نهى عن استخدام اليمنى في الاستنجاء والاستجمار ، وانه حبذ النوم على الشق الأيمن دون الأيسر ، وأنه أمر بتسجية الميت عليه أيضا · ثم انك اذا صليت داخل الكعبة استقبلت ركنها اليماني ، دون سواه · أو ماترى أن القلب في الشق الشمال ، وأنه كما يقال ـ مصدر العاطفة وهي القائد الى المراتع الوخيمة مالم توجه · وأن الشارع أمر بقطع يمنى السارق لا يسراه ، لأنها كانت أداته في سرقته · وأن الناس تنكر

العسر في الأيدي وتعده عيبا ·

ومما يرجع ما أسلفت أن العرب كانت تتطير بالبارح من الطير ، وهو ما جاء عن شِمالك ، وتتفاءل بالسانح ، وهو ما جاء عن يمينك · والبارح في مبنى الفاعل من (برح) لدلالة تقع على معنى الشدة والكراهة ، والسانح في مبنى الفاعل من (سنح) لدلالة تقع على معنى المواتاة ، ولهذا فقد كنى العرب بطير الشّمال عن المكروه ، وما يتمناه المرء لعدوه ، ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي : (طويل)

زَجَرْتُ له طيرَ الشّمال فإن تكن هواك الذي تَهْوَى يُصِبْكَ اجتنابُها (٤٨)

أي أردت به مكروها · فان كانت تُحِبُّك حقا ، فإنها لن تبخل عليك ، وستواتيك · وقد عبر عن ذلك بالاجتناب ، أي هبوب ريح الجنوب ، كناية عن المواتاة ·

نخلص مما سبق الى تقرير مايلي :

(أ) الشّمال : ريح مكروهة وليس لها فضل الجنوب ·
(ب) الشّمال : هي اليد يكنى بها عن الخسران ، وليس لها فضل اليمين ·
(جـ) كلتا الكلمتين مشتقة من المادة (شمل) فيما يبدو · وسنناقش هذه المسألة فيما بعد ·
(د) الجنوب : ريح ذات فضل ، والعرب تتفاءل بها ·
(هـ) اليمنى (اليمين) : هي اليد التي يكنى بها عن الحق والخير والقوة ، ويتفاءل بها ·

وتقفنا الدراسة المقارنة بين العربية وبعض الساميات في مجال الألفاظ التي تخص بالجهات ، حيث التناظر قائم بينها جميعا ، وباستثناء كلمة « شَمال » · ويناظر الشّمال في العبرية שמל : سمول ، وفي السريانية ܣܡܠܐ سمولو · ويناظر اليمين في العبرية ימן يمن وفي السريانية ܝܡܢܐ يمنا · أما الجنوب ، الجهة وليس الريح ، فقد استخدمت كلمتا : « تَيْمَن وتيمُنا » في بعض النصوص الجغرافية العربية للدلالة عليها ، ومن ذلك أن الهمداني (٤٩) أطلق على الجهة التي تهب منها ريح الجنوب اسم التَيْمُنا · وقال اليعقوبي (٥٠) : « ومهب الجنوب القبلة ـ وهو مطلع سهيل الذي يسميه الحُسّابُ التَيْمَن » · يريد سمت قبلة أهل العراق ، وأراد بالحساب الفلكيين والمنجمين · ولعل في ذكره الحساب اشارة الى أثر الترجمة ، والى أن هاتين الكلمتين في صورتيهما تينك من المعرب · ويناظرهما في دلالتهما اليمن وهي جميعا من مادة واحدة هي (يمن) ، ومنها ، لذلك ،

اليمن واليمين . اذا ، هل لليمن والتيمن علاقة بما أوضحنا مما تمتاز به ريح الجنوب التي تهب من قبل اليمن (أو اليمانية في بعض النصوص) وما تمتاز به اليد اليمنى من فضل على الشمال ، واتصاف بما يستحب ويتفاءل به ؟ أليست «اليمين والمفردات السابقة» «اليمن والتيمن والتيمنا» مشتقة من المادة (يمن) ؟ أليس « اليمن » هو الجامع اللفظي والدلالي بينها جميعها ؟ ذلك أنه ينصرف للدلالة على البركة والفضل والفأل الحسن ، وأنها لمعان تدور في اطار تلك الدلالة .

لكن ما العلاقة بين « الجنوب » الريح ، والجنوب « الجهة ، واليمين واليمن والتيمن » لقد سبق أن أوضحت أن العلاقة المعنوية قائمة على نحو بين وجذري وقد بينا فضل اليمين من قبل في بضع نقاط ، أما اليمن ، فهو مهب ريح الجنوب ـ وقد بينا فضلها سابقا ـ وقد كان ـ ومايزال ـ بلدا طيبا خصبا . وقد سماه الاغريق باليمن السعيد .. وفي القرآن أخبار عن طيبة حيث قوله تعالى « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية* جنتان عَنْ يمين وشمال* كلوا من رزق ربكم واشكروا له* بلدة طيبة ورب غفور* » (٥١) وفي الأخبار والسير والتراث الأدبي العربي مما يشهد بذلك كثير . ولذلك كانوا يقصدونه للتجارة شتاء . ومما يذكر من فضل اليمن تنوع الطبائع الجوية فيه في الوقت الواحد . فتهامته حارة رطبة . والجبل معتدل ومايليه شرقا حارٌ نهارا ، معتدل ليلا ، هذا في فصل الصيف . أما شتاء فتهامة معتدلة والجبل بارد ومايليه بارد ليلا ، معتدل نهارا ، الأمر الذي يهيء فرصا كثيرة لتنويع الزراعة واستمرار النشاط على مدار العام . أما العلاقة اللفظية فلا تنتظم سائر المفردات . فالجنوب من المادة (جنب) والمفردات الأخرى من مادة (يمن) . وسنجتهد ـ غير متكلفين ـ في البحث عن العلاقة بين اليمين والجنوب فيما يلي هذا .

لماذا اتفقت الساميات في الألفاظ التي يعبر بها عن « اليمين » تماما ، وعن الجنوب الى حد كبير ولماذا لم تتفق في الألفاظ التي يعبر بها عن جهة الشمال ، ألأن للأوليين ارتباطا باليمن ؟ ولأن للشمال ارتباطا بالشؤم ؟ اني أرى ذلك استنادا لما سبق أن بينته من تفاضل بين شقي البدن وفضل ريح الجنوب على ريح الشمال ، وفضل جنوب الجزيرة العربية على شمالها .

وقد جرت العادة على أن يذكر مايتفاءل به ، ومايستحب من الأمور بلفظه صراحة . ولذلك كان الاتفاق بين تكلم اللغات في ألفاظ «الجنوب» ،

وأن يكنى عما يتشاءم به أو كان مكروها أو ينمى الى الشر ، الأمر الذي يدعمه قانون « التابو » أو تسمية الشيء بضده أو بمخالف لا يحمل مايشير الى سوء في الدلالة أصلا · وأمثلة ذلك في العربية ، وغيرها من اللغات كثيرة جدا ·

وقبل الابتعاد عن « الجنوب واليمن » والعلاقة اللفظية بينهما ، أود أن أقف مع الطبيب على الشق الأيمن من البدن (الركن اليماني) والشق الجنوبي (الجنب الأيمن) لأسأله : أليس في خلوه من بعض الجوارح (القلب ، الطحال ، البنكرياس) مايجعله مختلفا اختلافا كبيرا عن الشق الأيسر ؟ أليست اليمنى هي مناط القوة والتحمل والاستخدام الأكثر أهمية وتأثيرا ؟ أليس النوم على الجنب الأيمن أصح وأن الانسان ميال اليه بطبعه ؟ اني أرى أن اشتقاق « الجنوب » من الجنب ــ الأيمن انما كان بعد أن خصت كلمة « جنب » في الاستخدام بالجانب الأيمن لأنه أخص من الأيسر من حيث أهميته وكثرة استخدامه · وهاتان الحيثيتان كافيتان لجعل قصر الدلالة في المشتق الجديد أمرا ممكنا · وبهذا تكون دائرة العلاقة اللفظية غير المباشرة ، والمعنوية المباشرة بين الجنوب واليمن واليمين والجنب الأيمن قد أحكم حبكها واستمر مريرها · والآن أسأل : هل هناك فضل لجهة على أخرى كفضل ريح الجنوب على ريح الشمال وفضل اليمنى على اليسرى ؟ ·

لقد ذهب بعض القوم الى أن بعض الجهات أشرف من بعض ، وأظهر ما يتضح ذلك في « تهافت التهافت » (٥٢) حيث قال ابن حزم « ان الأرض ليس لها سبب في أن كانت تهوى الى أسفل الا صفة الأرضية ، وليس للنار سبب في أن تعلو الى فوق الا نفس طبيعتها وصورتها ، وبهذه الطبيعة قيل انها مضادة للأرض ، وكذلك الفوق والأسفل ليس لهما سبب به صارت احدى الجهتين أعلى والأخرى أسفل ، بل ذلك بمقتضى طباعهما ، واذا وجب اختلاف الجهات لأنفسها واختلاف الحركات لاختلاف الجهات فليس هنا سبب يعطى في اختلاف الحركات الا اختلاف جهلت المتحركات ، واختلاف الجهات لاختلاف طبائعها ، أعني أن بعضها أشرف من بعض (٥٣) · مثال ذلك : ان الانسان اذا أحس الحيوان يقدم في الحركة احدى رجليه من جهة بدنه ثم يتبع بها الأخرى · فقال : لم كان الحيوان يقدم هذه الرجل ويؤخر الأخرى دون أن يكون الأمر بالعكس (٥٤) · لم يكن هناك سبب يوفى في ذلك الا أن يقال انه لابد في حركة الحيوان من أن يكون رجل يقدمها ورجل يعتمد عليها ، وذلك يوجب أن يكون للحيوان جهتان يمين ويسار ، وأن اليمين هي التي

تقدم ابتداء لقوة تخص بها وان اليسار هو الذي يتبع ابتداء في الأكثر – اليمين ، لقوة تختص بها ، وانه لم يمكن أن يكون الأمر بالعكس · أعني أن تكون جهة اليمين هي جهة اليسار ، من طبائع الحيوان تقتضي ذلك اما اقتضاء أكثريا واما دائما · وكذلك الأمر في الأجرام السماوية ، اذ لو سأل سائل فقال : لم تتحرك السماء من جهة دون جهة ؟ قيل : لأن لها يمينا ويسارا ، وبخاصة اذ قد ثبت من أمرها أنها حيوان ، الا أنها يخصها أن جهة اليمين في بعضها هي جهة اليسار في البعض · وهي مع هذا الجزء الواحد منها تتحرك الى الجهتين المتضادتين كالرجل الأيسر الأعسر ، فكما أنه لو سأل سائل فقال : ان حركة الحيوان كانت تتم لو كان يمينه يساره ، فلم اختص اليمين بكونه يمينا واليسار بكونه يسارا لقيل له : ليس لذلك سبب الا أن طبيعة الجهة المسماة يمينا اقتضت بجوهرها أن تكون يمينا ولا تكون يسارا ، وطبيعة اليسار اقتضت بجوهرها أن تكون يسارا والا تكون يمينا ، وأن الأشرف للجهة الأشرف ·

وكذلك اذا سأل سائل لماذا اختصت جهة اليمين في الحركة العظمى بكونها يمينا ، وجهة اليسار بكونها يسارا ، وقد كان يمكن أن يكون الأمر بالعكس ، كالحال في أفلاك الكواكب المتحيرة (٥٥) ، لم يكن له جواب الا أن يقال : الجهة الأشرف اختصت بالجرم الأشرف ، كالحال في اختصاص النار بفوق والأرض بأسفل ·

وجاء فيه تأييدا لذلك ، قوله : « والبسيط (٥٦) بالمعنى المقول على الأجرام السماوية لا يبعد أن توجد أجزاؤه مختلفة بالطبع ، كاليمين والشمال للفلك ، والأقطاب ، والكرة بما هي كرة يجب أن يكون لها أقطاب محدودة ومركز محدود به تختلف كرة عن كرة (٥٧) » · وهذا يعني أنه لابد من يمين وشمال للجرم أيما كان وأينما كان ، وأن الجهة اليمنى أشرف من اليسرى ، وسنعرض لكيفية توجيه كل جهة والتعليم عليها في الصفحات التالية ·

الآن أسأل : أليس في الكرة الأرضية ما يشير الى ماذهب اليه ابن حزم ؟ بل أليس في الكائنات المختلفة مايرشح ذلك ويرجحه ؟ أماترون الى الاختلاف في تركيب السطح بين نصفي الكرة شمال خط الاستواء وجنوبه من حيث الطبائع والمكونات ؟ أما ترون أن حيتان نصف الكرة الجنوبي لا تجتاز خط الاستواء شمالا ؟ ·

أما ترون أن قطب المغناطيس الشمالي هو السالب ، والجنوبي هو الموجب ، وأن خطوط المجال المغناطيسي انما تتجه الى القطب الجنوبي ؟ ذلك

في كل أنواع المغناطيسية بما فيها المغناطيسية الأرضية تماما كما تفعل يدك الشمال أثناء العمل ، تقدم العون لليمنى وتناولها ، وليس العكس ·

ونستطرد بعض الشيء في بيان تفاضل الجهات ، حيث يتضح لك فضل « قبل » الانسان على « دبره » وفضل يمينه على شماله · ثم ، أما ترى أن الله قد خلق الانسان قويما ؟ ما هو « فوق » في مكانه « فوق » في رتبته كأن الفوقية في الجهة والمكان فوقيه في « المكانة » · فترى عقله ، وهو أسمى ما فيه فوق « محل عاطفته » ان صدق القول أن القلب محلها ، وذلك فوق محل غذائه وهو بطنه ، وهذا فوق محل شهوته وهو فرجه ·· وأن الله لما أراد بالحيوان ما أراد ، ولم يجعل له مكانة الانسان ، فلم يجعل فرقا كبيرا بين مواضع تكلم الجوارح والغرائز فجعل خلقة الحيوان أفقية بحيث يستوى رأسه موضع عقله ، وصدره وبطنه وفرجه · ولذا كان من الحق أن يوصم الانسان بأنه حيوان ، اذا استوى عقله وعاطفته وغريزته وشهوته ·

ولما لم يكن الانسان كرويا ، فقد تميزت في ذاته الجهات الأربع ، أما الأرض ، فلم تمتز فيها الا جهتان وهما الشمال والجنوب ، أي الجهتان اللتان ينزع اليهما طرفا المحور الذي تدور عليه ولذلك ، كان لابد من الاستعانة بالشمس أو نحوها في تحديد الجهتين الأخريين · وقد خصت الشمس لأن العلاقة الدورية بينها وبين الأرض تتأطر في نحو ٣٦٠ يوما ، هي عدة زوايا الدائرة المتمثلة في خط الاستواء أو فلك البروج ·

ان العلاقة بين الشمال والجنوب (السالب والموجب ، الخير والشر ، النور والظلام) تعكس الجانب الذاتي في الانسان في تفاعله مع نفسه ، أي حياته ، أما ما بين الشرق والغرب من علاقة ، فتعكس الجانب الزمني وتعامل المرء مع غيره ، ومع الكون · واني أدعو العلماء الى القيام بدراسات مركزة ، للوقوف على مفارقات جوهرية بين الجنوب والشمال ، والموجب والسالب ، ونصف الكرة الجنوبي ونصفها الشمالي ، واليمين واليسار ونحو ذلك مما يتفق معه ، وأنا على يقين من أنهم سيقفون ـ آخر الأمر ـ على حقائق جليلة تكل عن ادراكها أفهام معظم الناس ·

وفي كثير من اللغات ما يشير الى أن ثمة علاقة أكيدة بين اليمين وما يستحب وبين الشمال وما يكره · وأن الكلمة التي تطلق على ما يكره كثيرا ما يعبر بها عن الشمال والتي تطلق على اليمين يعبر بها عن الجنوب · ومن أمثلة ذلك في :

★ الفارسية : دست راست : اليمنى ، راست : الحقيقي ، الصادق دست جب : اليد اليسرى ، جب : شرير ومنها جب كردن وتعني

« الشيوعيين والأشرار » .

★ وفي البشتو ، حيث تستخدم الكلمة التي يعبر بها عن اليسار في الدلالة على ما يكره والتي يعبر بهـــا عن اليمين للدلالة على مايستحب : (جب لاس ، بنى لاس) .

★ وفي الألمانية : Recht : يمين Recht : حق .

★ وفي التترية : ادمان : اليد اليمنى ، وتعنى الصدق . اد كلب ، ويتشاءم بما يكنى عنه بها .

★ وفي الفرنسية : droit (e) يمين ، يمنى droit : حق

★ وفي الانجليزية : right : يمين ، يمنى right : حق ، صحيح

★ وفي اللاتينية : dextera : اليد اليمنى

dextra : عهد مقدس ، ميثاق جليل ، القوة الجهد

dexter : يمين ، في المتناول ، حاذق ، حسن الحظ ، مرض ، سمح النفس ، بشير ، صحيح ، مستقيم .

sinister : أيسر ، شمال

sinistra, sinistrum : الجانب الأيسر ، اليد اليسرى ، مخطيء ، غير صحيح غير مرض ، غير محق .

★ وفي اليونانية :

يمين ، على اليمين ، اليد اليمنى ، القوة ، الجهد
سعيد ، محظوظ ، فأل (حسن) اضافة الى جميع معاني كلمة dexter اللاتينية .
طير أيمن ، حظ سعيد
شمالي ، أيسر ، لليســـــار
اليد اليسرى ، شؤم

فأنت ترى أن الألفاظ التي يعبر بها عن اليمين واليسار في هذه اللغات يعبر بها عما يعبر بنظائرها في العربية عنه ، ولبعض هذه المفردات استخدام تحمل فيه دلالة معاكسة ذلك لاختلاف طبيعة المستوى اللغوي الذي يستخدم فيه . ففي لغة العرافين الرومان تنصرف كلمة (اليد اليسرى ، غير صحيح) بمعنى ميمون ، سعيد ، مبشر بالنجاح ، ذلك أن الكهنة الرومان كانوا يتجهون نحو الجنوب عند ممارستهم النبوءة ، وبذلك يصبح الجانب الشرقي أو الخير ، عن يسارهم .. غير أنهم كانوا يتبعون التقاليد اليونانية أحيانا فتحمل الكلمة عندئذ دلالتها الأصلية على معنى غير ميمون ، غير سعيد ... » .

وفي اتجاه الكهنة الرومان نحو الجنوب ، اشارة الى فضل تلك الجهة سواء كان ذلك للجهة ذاتها ، أم كان الأمر اكبارا للبحر جنوب بلادهم ۰ وفي اعتبارهم جهة المشرق نظيرا للخير ، ودليلا عليه ، فذلك لأنها الجهة التي تشرق منها الشمس ، أي لأنها توازي في الباطن ابتداء الحياة ۰ وسنأتي على شيء من هذا التقبيل عند المصريين القدماء فيما يأتي ۰

وكان العراف الاغريقي يتجه شمالا عند ممارسة الكهانة وبذلك يكون المغرب عن يساره ومن هنا كانت الدلالة على الشؤم ، وكان الارتباط بينهما ، حيث يناظر الغروب الموت في الباطن ۰

وقد استخدم المصريون القدماء كلمتين مشتقتين من المادة (يمن) وهذا يشير الى العلاقة بين المصريين واللغات السامية من ناحية ، وبين المصريين والساميين من ناحية أخرى ـ هما « يمنتى » و « أيمنتى »

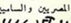

للدلالة على جهة الشرق ، كأنهم كانوا يتجهون أو ييممون وجوههم عند ممارسة الطقوس في اتجاه مجرى النيل ، أي شمالا ، ذلك لما له من أهمية في حياتهم ، وبذلك تكون جهة المشرق عن يمينهم ، والشروق واليمن من الخير ، والرابطة بينهما قوية في الظاهر والباطن ۰ ولا يغيب عن البال هنا أن المصريين قد عبدوا الشمس « الاله رع » ۰ واعتقد ان كلمة « يم » السامية الحامية بمعنى « نهر » انما اكتسبت دلالتها العامة بعد دلالة خاصة كانت تقصر على نهر النيل دون غيره ، وهذا ما يرشحه ويرجحه الاستخدام القرآني لهذه الكلمة ، حيث لم ترد فيه الا في خبر موسى مع فرعون وأهل مصر ۰ ثم ان في دلالة المادتين (امم ويمم) في العربية ما يؤكد ذلك ، حيث تتصرفان لمعنى (اتجه) ۰

ومثل ذلك فعل سكان شمال السودان ، فقبائل « المحس » التي تعيش قريبا من دنقلة غرب النيل ، ماتزال تستخدم الفاظا تتفق وما أسلفت ، حيث تتصرف كلمة « أر » الى المعاني « شرق ، نهر النيل ، يمين » وبهذا تكون العلاقة بين النيل واليم قد حبكت وفي ذلك مايؤكد أنهم كانوا يتجهون شمالا عند ممارسة الطقوس ۰ حيث يكون النيل والشرق عن يمينهم ومن هنا جاز عندهم استخدام كلمة واحدة لليمين ، والشرق والنيل ۰

ونعود الآن الى لغتنا ، أم اللغات ، بالسؤال التالي : هل هناك علاقة بين الشمال والشمال (والشام والشأم) والشؤم كتلك التي بين الجنوب واليمن واليمين واليمن ۰ سبق أن بينا أن ريح الشمال ليست بذات فضل على الجزيرة العربية ، بل لقد كان العرب يكرهونها ، وكذلك هي الحال

بالنسبة للشمال ، ومايكنى بها عنه ، حسب ماتبين لك من قبل .

أما ما يتعلق بالشام والشأم فهي سواء من حيث الأصل اللغوي . ومن حيث الدلالة . وموقع الشام الى الشمال من بلاد العرب ، ومن شمالها اذا ما استقبلت الشمس لدى شروقها . وقد تسمي ريح الشمال ، شأمية أو شامية نسبة الى الشام ، ذلك بما تهب من قبلها . والشأمة جهة الشمال ، والكلمة حية لدلالتها في لهجة الفلسطينيين الى يومنا الحاضر يقولون ـ شام ـ . والأشأم الذي يقع عن شمالك ، وهي الشؤمى ـ أفعل فعلى ـ والشأم فعال منه ، والشام بتخفيف الهمزة .

قال المرقش : (مجزوء الكامل)

فاذا الأيامن كالأشا　　　ئم والأشائم كالأيامن

كناية عن التباس الخير بالشر والحق بالباطل (٥٨) .

وقال القطامي التغلبي : (طويل)

فخر على شؤمى يديه فذادها　　　بأظمأ من فرع الذؤابة أسحما (٥٩)

أي : على يده الشمال . لكن ، هل من علاقة بين الشأم والشؤم غير العلاقة اللفظية السابقة كتلك التي بين ريح الشمال والشؤم ؟ وهل الشمال والشمال من مادة (شمل) أصلا ؟ .

ورد في الاختيارين قول أحد بني العنبر في نخلة ، (وقد سبق) (٦٠) :

تدحى وتسمو في السماء برأسها　　　وان هب يوما شأمل لم تحلل

حيث تعني كلمة (شأمل) ريح الشمال ، التي تهب من جهة الشأم . وفي هذه الكلمة مايمكن أن نناقشه على النحو التالي :

ما أصل هذه الكلمة ؟ هل هي منحوتة من شأم وشمل لدلالتيهما ؟ أم أنها من مادة رباعية (شأمل) ؟ أم أنها مركب اضافي أصله شأم ـ ال ، بمعنى الله يكره أو يتشاءم ، (ان كان يجوز اسناد التشاؤم الى الله) فهي في ذلك مثل : يسمع ال اسماعيل ، وعبد ال ، « عبد ل » : عبد الله ونحوها .

وعندئذ ، أليس ممكنا أن نقول : أن هناك علاقة مكانية ولفظية بين هذه الكلمة وبين مملكة « الشمال أو الشأمل » ، التي ورد ذكرها في النقوش التي ترجع الى عهد الملك سليمان ، تلك المملكة التي كانت تقع بين حلب ونصيبين ، أي في شمال بلاد الشأم ؟ كانت هذه المملكة كثيرة الحروب وبخاصة مع الأشوريين لذلك كانت في حلف دائم مع ممالك الشام . ويطلق عليها في العبرية اسم سمأل أو شمؤل وفي السريانية ܫܡܐܠ وتعرف في المراجع العربية باسم شمأل ، وشأمل ، وشمال . ويطلق عليها في الأشورية Sumela وقد ذهب بروكلمان الى أن اسمها مشتق من « شأم » لعلاقة بالشؤم ، وهذا يرجح ما أسلفت ، نظرا لكثرة الحروب التي

كانت تسببها وتعرف في مراجع الآثار باسم « سند شيرلي* » ·

وقد يقال ان العلاقة بين الشأم والشؤم غير واضحة في ماعدا الجانب اللفظي وقد يحتج علينا بما في الشام من خيرات ، وبالآية الأولى من سورة الاسراء « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » ، حيث تشير عبارة « باركنا حوله » الى مالا يتفق مع الشؤم ، كما قد يحتج علينا بما يروى من الحديث « بارك الله في شامنا وفي يمننا » ، وبالحديث « بارك الله في الشام من فحص الأردن الى رفح (٦١) » وغير ذلك مما يشبهه فأقول : ان في الآية المذكورة تخصيص ، حيث نعت المسجد الأقصى بقوله « الذي باركنا حوله » أي بما يقع حوله ، وهذا النعت أولى مايكون بفلسطين ، بل ببعضها ، وهذا مايؤكده الحديث الأخير ، حيث ان في عبارة « من فحص الأردن الى رفح » تحديدا للمنطقة المباركة ، وهي منطقة بيت المقدس ومايليها مما يقع بين غور الأردن ــ فحص الأردن ــ ورفح · وهي منطقة مقدسة وفيرة الخيرات · ولعلها المقصود بالشام المبارك في غير هذه المواضع ، ثم اننا نحتج لذلك بمسالة أخرى حيث نرد على المتذرع بخيرات الشام « بمفهومها العام » بقولنا : ان أنحاء كثيرة من تلك البلاد لم تكن معمورة حتى العصر الأموي ، وأخص بالذكر حماة وضياعها ، حيث لم تكن قد أنشأت قبل سنة ٦٨هـ ، ثم انه ليس لتلك المنطقة ما لفلسطين من فضل في ذلك ، وليس في الشأم الا غوطتها « غوطة دمشق » ، والطريق اليها من بادية الى بادية ، فهي على العكس من اليمن في ذلك ، اذ تمتد الطرق اليه عبر أراض يختلف المناخ فيها اختلافا يتيح للذاهب اليه أن يختار لنفسه الطريق التي تلائمه · فان سلك تهامة فهي حارة صيفا ، معتدلة شتاء ، أو سلك الحجاز فهو بارد شتاء معتدل صيفا أو سلك البادية عن يسار الحجاز ، فهي على نحو مختلف · ويضاف الى ذلك كله ، أن الأراضي المؤدية لليمن من الحجاز أراض دائمة الخضرة كثيرة المراعي ، وفيرة الماء الى حد كبير ، وهذه أمور لاغنى للمسافر عنها ، حيث يجد فيهما مايلزمه ويلزم راحلته · أما الشام فطريقه عبر حرار شمال الجزيرة ، ثم عبر صحراء النفود ، فبادية الشام ، فحرار حوران عبر بلاد قليلة الماء كثيرة الغبار قليلة المرعى · وهذه الصفات قد تكون كافية لأن تجعله مشئوما ، بالرغم من أن بعض حاجاتهم تقضي فيه · ويضاف الى ذلك أن البرد يأتيهم من قبله وأن المطر قليل من ناحيته ·

أما التوافق الطبيعي بين تينك الجهتين وماذكر في السؤال الثاني ، فذلك مالا يعقل أن يتم نتيجة لتواضع واتفاق أجمع عليهما العرب ، الا أن يكون بينهم وبين الطبيعة توافق ، وهذا أمر ترشحه فطرتهم . وهذا أمر — نفي أم ثبت — يؤكد أن اللغة أو بعضها توقيف من الله تعالى لا اصطلاح ، وأذكر هاهنا بقوله تعالى « وعلم آدم الأسماء كلها » ، ولا أخوض في هذه القضية التقليدية رادا من أراد ذلك الى المصنفات التي عرضت لها (٦٣) .

ونتساءل بعد ذلك كيف جاءت الكلمات « تيمنا » السريانية ، و « تيمن » العبرية و « اليمن » العربية، لدلالاتها على الجنوب ، سواء أكانت هذه الدلالات مباشرة أم غير مباشرة ؟ هل تواضع العرب والآراميون والعبرانيون على ذلك ، فاصطلحوا عليه أم أن الكلمتين في تينك اللغتين دخيلتان من العربية ؟ أليس في ذلك اشارة الى أن الكعبة « الحد المكاني للتعليم على الجهات لدى الاشراق » ، كانت مقدسة عند جميع الشعوب السامية منذ أمد بعيد يرجع الى الوقت الذي كانوا يحيون فيه قبائل رعوية أو قبل ذلك ؟ أوليس فيه اشارة الى أن بلاد العرب هي موطن الساميين الأصلي ، بل المنبع الذي صدر عنه الناس كافة ؟ ألم يقل تعالى « كان الناس أمة واحدة » ؟ . ان في لغاتهم المعاصرة بقايا مما تشير اليه كلمة « واحدة » . كثير هي الشعوب التي سمعتها تعبر عن نعم بالصوت «جـ» باخراج نقرة من جانب اللسان ، وعن « لا » بالصوت « تس » باخراج نقرة حادة من مقدم اللسان . وكم هي المفردات المشتركة ، وأسوق أمثلة بابا وماما وامبو من لغة الطفل . وطريف أن كلمة امبو تعني الماء باللغة السنكريبتية وهي مستخدمة لذلك في لغة الأطفال ببلاد الشام ومصر ، وفي لغة بقايا البربر والطوارق ، وفي لغة الهوسا في وسط غرب افريقيا . ثم ان في دلالات « يمين ويسار أو شمال » على ما يستحب ويكره بالترتيب لدليلا على أنهم جميعا قد صدروا في ذلك عن فكر واحد لمجتمع كان يوما واحدا . ان حفريات القبور القديمة وأشكالها توحي بشيء من هذا التوافق غير الناجم عن مصادفة .

ان الجزيرة العربية مؤهلة لأن تكون مهد الانسان ووطنه الذي ارتحل منه الى جميع البلدان ، ذلك بما تتمتع به من مناخات مختلفة في الوقت الواحد ، ولما يهطل عليها من مطر صيفا وشتاء يتناسب مع طبيعة الحياة البدائية والرعوية . ثم انها متصلة بأفريقيا بواسطة جزر باب المندب

(جنوبا) وبواسطة شبه جزيرة سيناء شمالا « غربيا » · ولقد كانت متصلة بها قديما حين كان ساحلا البحر الأحمر رتقا ، قبل الزمن الجيولوجي الثالث (٦٤) · وإن هذين الساحلين متشابهان في أكثر من ٨٠٪ مما يشهد انه من طباع بشرية وألوان ومن بيئة طبيعية ، وأسلوب معاش ، ومناخ ونباتات وغير ذلك ·

وتتصل بآسيا عن طريق مضيق هرمز ، وعن طريق العراق ، وتتصل بأوروبة عن طريق الشام ، فهي ، بحق بؤورة العالم · ومكة بؤرتها والكعبة بؤرة مكة ، وان هذا ليتفق مع ماذهب اليه بعض المفسرين من أن ابتداء دحو الأرض وبسطها كان من موضع الكعبة ، كان الأصل شبيها بحجر على الماء · فكانّ ذلك الموضع مركز الأرض · واذا كانت هي مهبط الوحي من السماء ، فهي اذا مبدأ التكوين ، وهل مكة ، وبلاد العرب مؤهلة لذلك ؟

لعل فيما أسلفت من مميزات لجزيرة العرب ما يؤهلها لأن تكون كذلك دون غيرها · وقد جاء في كتاب « مغامرات لغوية » لعبد الحق فاضل ، قوله : « ان كلمة اليمين حجازية المنبت في عقيدتنا ، ولنا في نشأة اليمين واليسار راي ليس هنا مقام شرحه » (٦٥) ·

ولا شك في أن صاحبنا واقف على حقيقة تدعم ماذهبنا اليه ·

كما نشر في مجلة العربي (٦٦) تحت عنوان « دراسة تثبت أن مكة مركز اليابسة ما نصه : قام الدكتور حسين كمال الدين ، أستاذ المساحة بدراسة أثبت خلالها أن مكة هي مركز الكرة الأرضية · وكان هدفه في البداية الوصول الى وسيلة تساعد أي مسلم في أي مكان على تحديد القبلة ·

الا أنه توصل أثناء بحثه الى ما يشبه النظرية الجغرافية بأن مكة هي مركز لدائرة تمر بأطراف جميع القارات ، فقد اتجه الى رسم خريطة للكرة الأرضية تحدد عليها اتجاهات القبلة فبعد أن رسم خريطة تحسب أبعاد كل الأماكن على القارات الست وموضعها من مدينة مكة ، ثم أوصل بين خطوط الطول المتساوية « مع بعضها » (٦٧) ليعرف كيف يكون اسقاط خطوط الطول وخطوط العرض ، فتبين له أن مكة هي بؤرة هذه الخطوط ، ثم رسم خطوط القارات وسائر التفاصيل على هذه الشبكة ، واستعان في بحثه بالعقل الإلكتروني لتحديد المسافات ، والانحرافات المطلوبة ، ولاحظ أنه يستطيع أن يرسم دائرة يكون مركزها مكة وحدودها خارج القارات الأرضية ومحيطها يدور مع حدود القارات الخارجية ، وتوصل من نظريته الى مغزى الحكمة الإلهية في اختيار مكة مكانا لبيت الله » ·

بهذا تكون الأدلة الدينية واللغوية والعامية متفقة على مكانة مكة وبلاد العرب وبهذا تتضح بعض الجوانب الميتافيزيقية في اللغة بعد أن تبين لك مدى التوافق الطبيعي بين الانسان ولغته وبيئته .

ان في الكون لعبرا كثيرة لمن أراد ، ولمن تدبر وتفكر ، كل يمين موجب ، في الجسم ، وفي بلاد العرب ، بل في العالم بأسره ، وفي الرياح . وفي المغناطيس ، وفي الذرة ، وفي الكهرباء . وكل شمال الى شؤم ، وكل شمال سالب ، الالكترونات السالبة تتحرك مندفعة من مداراتها حول نواة الذرة فيتم الدمار . والشر يطغى على الخير فيكون الدمار ، والظلمة تزاحم الضياء فيكون العمى .

وتبارك الله الذي خلق الكون الأصغر فجعله في هيئة الكون الأعظم : ـ الانسان ـ الشمس عيناه ، وعقله المدبر من فوقه ، وأذناه القمر بما هما دون العينين في الادراك ، تماما كالقمر دون الشمس في الكشف أو هما قطبا الأرض ، أو المداران . وقبله مشرق ، ودبره مغرب ، ويداه القطبان الأعظمان ، أو قطبا الأرض ، فالشمالي منها سالب غالبا مايشهد ما يكره والجنوبي منها ميمون . وبلاد العرب بطن الأرض ورحمها التي زودت أنحاء الأرض المختلفة بالناس ، ومكة سرتها ، منها ابتداء الخلق المادي أو التكوين المادي للكرة ، وعبرها كان يتنزل الوحي المخرج من الظلمات الى النور .

ليس في الأرض الا جهتان هما الشمال والجنوب . أما المشرق والمغرب والفوق والتحت فنسبة الى الشمس والحساب . فالأرض كرة وأظهر ما في الكرة محورها . واتجاهاه اللذان يأخذ فيهما من مركزها هما الشمال والجنوب .

ورقبة الانسان هي الفضاء الخارجي ، والصدر والرئتان هي الغلاف الغازي وبقية جسمه هو الأرض ، والتراب من التراب الى التراب .

اني أدعو العلماء الى البحث في خصائص القطبين وأوجه التفاضل بينهما ، والى البحث في أوجه التفاضل بين الشمال والجنوب ، وبين شقي البدن ، والى البحث في ماوراء اللغة ، فهي كتاب الحضارة وأداة الخلق . واني على يقين من أنهم الى نتائج باهرة لابد واصلون .

د. يحيى عبد الرءوف جبر

الهوامش

١ ـ ناقشنا هذه الفكرة في مقالنا « العين بين العلم واللغة » المنشور في عدد ديسمبر سنة ١٩٧٨م من مجلة الثقافة العربية .

٢ ـ مريم من الآية ١٦ ، وانظر تحت الزيتونة في سورة النور ، الآية ٣٥ .

٣ ـ القصص من الآية ٤٤ .

٤ ـ البقرة من الآية ١١٥ ، وانظر لمثله البقرة ١٤٢ ، ١٧٧ ، ٢٥٨ والشعراء ٢٨ والمزمل ٩ والكهف ٨٦ .

٥ ـ الرحمن ١٧ وانظر الزخرف ٣٨ .

٦ ـ ابن قتيبة ـ الأنواء ـ ١٤١ .

٧ ـ الأعراف ١٣٧ وانظر لمثله المعارج ٤٠ والصافات ٥ .

٨ ـ انظر هـ ٦ سابقا .

٩ ـ الأصمعيات ٤٩ .

١٠ ـ أحمد فريد رفاعي ـ عصر المأمون ـ ٤٢٧/١ .

١١ ـ ابن قتيبة ـ الأنواء ـ ١٦٥ .

١٢ ـ المرزوقي ـ الأزمنة والأمكنة ـ ٢٤٣/٢ .

١٣ ـ ابن الانباري ـ شرح المفضليات ط لندن ـ ٧٧١ .

١٤ ـ لبيد ـ ديوانه ـ ١٨٥ .

١٥ ـ ابن بنين ـ اتفاق المباني وافتراق المعاني ، بتحقيقنا ـ ص ٤٣

١٦ ـ انظر مجموع أشعار هذيل .

١٧ ـ ابن الأنباري ـ المفضليات ـ ١٠٤

١٨ ـ طرفة بن العبد ـ ديوانه ـ ٥٢ .

١٩ ـ ينزل المطر على مكة ونواحيها صيفا وشتاء لأنها في منطقة تصل اليها الرياح الشمالية الغربية شتاء ، والرياح الموسمية صيفا .

٢٠ ـ الحجر ـ الآية ٢٢

٢١ ـ الذاريات ـ الآية ٤١ .

٢٢ ـ الطرماح بن حكيم ـ ديوانه ـ ٣٣٥ .

٢٣ ـ النابغة الشيباني ـ ديوانه ـ ١١١

٢٤ ـ كثير عزة ـ ديوانه ـ ١٧٥/١ .

٢٥ ـ النمر بن تولب ـ مجموع أشعاره ـ ٦٨ .

٢٦ ـ رؤبة ـ ديوانه ٥٨ .

٢٧ ـ المبرد ـ الكامل في نهاية الأرب ـ ٢٤٦/١

٢٨ ـ أبو علي القالي ـ الأمالي ـ ١٨١/٢ . وانظر ماورد من بيان لطبع الجنوب في الصفحات السابقة .

٢٩ ـ الطرماح ٤١٢ .

٣٠ ـ لذلك ذهب بعض الفلاسفة المسلمين الى اعتبار الأجرام السماوية كائنات حيه لأنها تتحرك .

٣١ ـ انظر لدلالتها اللسان (جشا) .

٣٢ ـ السكري ـ شرح أشعار هذيل ـ ط القاهرة ـ ص ١٧٢ .

٣٣ ـ ابن الانباري ـ المفضليات ـ ١٧٠ .

٣٤ ـ انظر قول طرفه هـ ١٨ .

٣٥ ـ مجموع شعر مالك بن الريب ص ٥٣ ومثله لابن مقبل ـ ديوانه ـ ٢٣٣ .

٣٦ ـ امرؤ القيس ـ ديوانه ـ ٨ .

٣٧ ـ الأخفش الأصغر ـ الاختيارين ، تحقيق فخر الدين قباوة ـ ط دمشق سنة ١٩٧٤ ص ١٧٨ .

٣٨ ـ السكري ـ شرح أشعار الهذليين ـ ١/١٩٩ .

٣٩ ـ نفس المرجع ١/١٣٠ .

٤٠ ـ ابن الأثير ـ النهاية في غريب الحديث ، واللسان (زيب) .

٤١ ـ ابن فارس ـ معجم المقاييس ـ (زيب) والكلمة لدلالتها على النشاط سامية مشتركة ، (انظر : دراسات مقارنة في المعجم العربي ـ للسيد يعقوب بكر « ازيب ») .

٤٢ ـ الواقعة : ٢٧ وانظر لمثله المدثر : ٣٩ .

٤٣ ـ الواقعة : ٨ ، ٩ .

٤٤ ـالاسراء ٧١ ، وانظر لمثله الحاقة ١٩ والانشقاق ٧ .

٤٥ ـ الزمر ٦٧ .

٤٦ ـ الشماخ بن ضرار ـ ديوانه ـ ١٨١ .

٤٧ ـ الحاقة : ٢٥ .

٤٨ ـ اللسان (شمل) . وراجع الفصل الأخير من المجلد الرابع من المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي .

٤٩ ـ الهمداني ـ صفة جزيرة العرب ـ ١٥٤ .

٥٠ ـ ابن واضح اليعقوبي ـ البلدان ـ ٢٦٨ .

٥١ ـ سبا : ١٦ .

٥٢ ـ ابن حزم ـ ط الكاثوليكية بيروت ص ٤٨٨ ـ ٤٩٠ .

٥٣ ـ يتضح ذلك باستقراء ما سبق ، وباستقراء طبائع الجهات ولا سيما (شمال وجنوب) .

٥٤ ـ تذكر أن المدرب العسكري يخالف من يبدأ السير برجله اليسرى عند الايعاز « الى الامام سر » ! .

٥٥ ـ يقصد السيارة .

٥٦ ـ يقصد العنصر او الاسطقس أو واحد الأجرام العلوية .

٥٧ ـ ابن حزم ـ تهافت التهافت ـ ٢٤٣ .

٥٨ ـ جواد علي ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ـ ٤/٤٧٦ وانظر للبيت ديوان المرقشي .

٥٩ ـ القطامي التغلبي ـ ديوانه ـ ١٨١ .

٦٠ ـ انظر هـ ٣٧ .

٦١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث (فحص) .

٦٢ ـ سمعتهم في تهامة عسير يقولون للمتجه شمالا : شايم او شامم وللمتجه جنوبا يمن اي اتجه قبل الشام ، وقبل اليمن . كل ذلك جنوب مكه المكرمه .

٦٣ ـ راجع ما ذهب اليه ابن فارس وابن جني في مصنفاتهما ، وما أورده السيوطي من ذلك في مزهره .

٦٤ ـ بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ـ ترجمة منير البعلبكي ١/١٠

٦٥ ـ عبد الحق فاضل ١٢٦ .

٦٦ ـ العدد ٢٣٧ شعبان ١٣٩٨هـ ، اغسطس ١٩٧٨م ص ٧١ (استطلاع مكه المكرمه) .

٦٧ ـ هكذا وردت .

** انظر بحث ليد سبارسكي في :

Kelilnschriften und das alte
Tertament. s. 179 f.